المحاضرة 03+04 – الرواد والتجربة الشعرية الجديدة.

الشعر الحر / شعر التفعيلة.

1– مفهوم الشعر الحر:

تقول الناقدة والشاعرة نازك الملائكة حول تعريف الشعر الحر بأنه :"**شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه.**" ثم تتابع نازك قائلة " فأساس الوزن في الشعر الحر أنه يقوم على وحدة التفعيلة والمعنى البسيط الواضح لهذا الحكم أن الحرية في تنويع عدد التفعيلات أو طول الشطر تشترط بدءا أن تكون التفعيلات في الأسطر متشابهة تمام التشابه فينظم الشاعر من البحر ذي التفعيلة الواحدة المكررة أشطرا تجري على هذا النسق:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

إن الشكل الجديد أو (الشعر الحر) يقوم على وحدة التفعيلة دون التزام الموسيقى البحور المعروفة، كما أن شعراء القصيدة الحرة يرون أن موسيقى الشعر ينبغي أن تكون انعكاسا للحالات الانفعالية عند الشاعر، وهنا تتضح لنا طبيعة الشعر الحر، فهو شعري يجري وفق القواعد العروضية للقصيدة العربية، ويلتزم بها ولا يخرج عنها إلا من حيث الشكل، والتحرر من القافية الواحدة في أغلب الأحيان، فالوزن العروضي موجود والتفعيلة ثابتة مع اختلاف في الشكل الخارجي ليس غير، فإذا أراد الشاعر أن ينسج قصيدة ما على بحر معين وليكن بحر "**الرمل**" مثلا استوجب عليه أن يلتزم في قصيدته بهذا البحر وتفعيلاته من مطلعها إلى منتهاها وليس من الحرية سوى عدم

التقيد بنظام البيت التقليدي والقافية الموحدة وإن كان الأمر لا يمنع من ظهور القافية واختفائها من حين لآخر حسب ما تقضيه النغمة الموسيقية وانتهاء الدفقة الشعورية.

والشطر هو الأساس الذي تنبني عليه القصيدة، وقد رأى بعض النقاد أن نستغني عن تسمية الشطر الشعري بالسطر الشعري، وللشاعر حرية اختيار عدد التفعيلات في الشطر الواحد وذلك حسب الدفق الشعوري عنده أيضا، فقد يتكون الشطر من تفعيلة واحدة، وقد يصل في أقصاه إلى ست تفعيلات كبيرة كـ" مفاعيلن ومستفعلن". وقد يصل إلى ثماني تفعيلات صغيرة إذا كان البحر الذي استخدمه الشاعر يتكون من ثماني تفعيلات صغيرة كـ"فعولن وفاعلن"، غير أن كثيرا من النقاد لم يحدد عدد التفعيلات في الشطر الواحد، وإنما تركت الحرية للشاعر نفسه في تحديدها وفقا لتنوع الدفقات، والتموجات الموسيقية التي تموج بها نفسه في حالته الشعورية المعينة.

أم عن القافية فيشير الناقد عز الدين إسماعيل إلى أن:" القافية في الشعر الجديد هي نهاية موسيقية للسطر الشعري هي أنسب نهاية لهذا السطر من الناحية الإيقاعية، ومن هنا كانت صعوبة القافية في الشعر الجديد وكانت قيمتها الفنية كذلك (...) فهي في الشعر الجديد لا يبحث عنها في قائمة الكلمات التي تنتهي نهاية واحدة، وإنما هي كلمة ما من بين كل كلمات اللغة، يستدعيها السياقان المعنوي والموسيقى للسطر، لأنها هي الكلمة الوحيدة التي تضع لذلك السطر نهاية ترتاح النفس للوقوف عندها".

2- نشأة الشعر الحر وإشكالية الريادة:

إن اختيار المبدع العربي كتابة الشعر الحر يعني رغبته في أن تكون ذاته موجودة، كذات فاعلة داخل المجتمع العربي لتصبح الكتابة نوعا من التحرر والخلاص من كل أشكال التبعية الفكرية للنص القديم، ومضامينه الشعرية التي تجاوزها الزمن. فقد أثبت الشعر الحر وجوده بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كانت الظروف ممهدة للمحاولات الجديدة من شعر التفعيلة، وبالتحديد عام 1947 حين احتدم الصدام بين الشاعرين العراقيين بدر شاكر السياب ونازك الملائكة، إذ يدعي كل منهما الريادة في نظم الشعر الحر قبل الآخر. تقول نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) :" كانت بداية الشعر الحر سنة 1947 في العراق، ومن العراق، بل من بغداد نفسها، زحفت هذه الحركة حتى غمرت الوطن العربي كله وكادت".ثم تتكلم مرة أخرى عن صدارتها قائلة :" وكانت أول قصيدة حرة الوزن تنشر قصيدتي المعنونة الكوليرا". ثم تواصل الإشارة في هامش الصفحة ذاتها من كتابها (قضايا الشعر المعاصر) بأنها نظمتها عام1947 وأرسلتها إلى بيروت فنشرتها مجلة العروبة في عددها

الصادر في أول كانون الأول 1947. وفي النصف الثاني من الشهر نفسه، صدر في بغداد ديوان بدر شاكر السياب (أزهار ذابلة)، اشتمل على قصيدة حرة الوزن –أيضا – عنوانها (هل كان حبا) وقد علق في الحاشية بأنها من الشعر المختلف الأوزان والقوافي". لو أنها كتبت القصيدة تصور بها مشاعرها نحو مصر الشقيقة خلال وباء الكوليرا الذي داهمها، والقصيدة من البحر المتدارك وفيها تقول:

سكَن الليلُ

أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ

في عُمْق الظلمةِ, تحتَ الصمتِ, على الأمواتْ

صَرخَاتٌ تعلو, تضطربُ

حزنٌ يتدفقُ, يلتهبُ

يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ

في كل فؤادٍ غليانُ

في الكوخِ الساكنِ أحزانُ

في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ

في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ

هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ

الموتُ الموتُ الموتْ

هذا المقطع الشعري ورغم خروجه قليلا عن قواعد الموسيقى الشعرية إلا أنه يدل على وعي وتصميم لدى الشاعرة في التجديد الشعري خاصة أنه يكشف عن عمق العلاقة بين الجانب الفلسفي والحس المأساوي في شعرها،

3– أبرز السمات الفنية لشعر التفعيلة (الشعر الحر) هي:

- ✓ يقوم على وحدة التفعيلة، ولا يتقيد بعدد التفعيلات العروضية في كل سطر.

- ✓ إن الشاعر تكاملت ثقافته في هذا العصر من جميع جوانبها سواء ما كان دينيا أو فلسفيا أو علميا. لقد استوعب الثقافة الإنسانية وتبلورها وحدد موقفه منها ثم انعكس ذلك كله في شعره
- ✓ يقوم على تشكيل الصور الشعرية الجديدة والإكثار منها.
- ✓ لا يتقيد بوحدة القافية.
- ✓ إن الشاعر في هذه الفترة تعايش مع قضايا أمته وانفعل بها ولم يقف منها موقف المتفرج المصور.
- ✓ الفلسفة الجمالية: فالشاعر المعاصر صنع لنفسه جمالياته الخاصة وابتكرها ابتكارا. وفي الماضي كانت مفروضة عليها فرضا.
- ✓ يهتم بالأساطير والرموز الدينية والأبعاد الفلسفية، مما طبع بعض قصائده بالغموض الذي قد يصل إلى درجة الإبهام.
- ✓ يوظف لغة الحياة اليومية.
- ✓ تظهر الوحدة العضوية والموضوعية فيه ظهوراً بارزاً.

10. الشاعر لم يتقيد بقالب الشعر التقليدي الذي ينبغي أن يحشر فيه المضمون الفكري، وإنما ترك المضمون يحقق لنفسه بنفسه وبشكل عفوى الإطار المناسب.

ولا يرغب شاعر الشعر الحر بأن يلتزم بالقوافي بالضرورة ولكن إذا أتت القافي طبيعيا وتلقائيا فلا يمنعها ولا يتجنبها. وقد أشار إليه بدر شاكر السياب: إن ترنيمة موسيقية تنشأ بنفسها وتجعل الشعر جميلا. كما نجد في قصيدة "نهاية السلم" لنازك الملائكة.

4- دوافع الشعر الحر:

شهدت الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تطورا ملموسا في جميع أصناف الأدب العربي بما جاء يتمثل في اتساع افقه بحيث أصبح يشمل الحياة بمختلف مجالاتها. فأخذ الشعراء يطالعون الأدب الغربي وتأثروا به تأثرا عميقا. سافر بعضهم إلى البلدان الغربية وقضوا فترة من حياتهم واستفادوا من آداب الغرب، ورحبوا بجميع الثقافات الغربية واكتشفوا مدرسة جديدة في الفكر والأدب. أما عوامل التي دفعت الشعراء الجدد إلى اعتماد طريقة جديدة في نظم الشعر فهي كما يرى تتلخص في أثر الثقافات الغربية أو النظريات الحديثة في الأدب والفنون السائدة عند الغربيين على الشعراء العرب المعاصرين. وكانت هذه نتيجة طبيعية لإطلاعهم على تلك النظريات ويعترف زعماء

الشعر الحر بأنفسهم بأنهم قد تأثروا بشعراء الغرب حتى في طريقة كتابة قصائدهم. أراد شعراء الغرب وعلى رأسهم **وردزورت** أن يبدوا طريقة جديدة للخروج على المذهب الكلاسيكي السائد في ذلك العصر وقدموا أمام الناس خصائص الشعر الجديد. ودعوا إلى استخدام اللغة اليومية التي يتحدث بها الناس لأنها أصدق تعبيرا وأقرب إلى مشاعر الناس وأحاسيسهم الذين يخاطبهم الشاعر ودعوا إلى ترك بعض المصطلحات الكلاسيكية التي كانت غير ملائمة وفقدت قوة إيحائها. كما قالت نازك الملائكة "في الشعر كما في الحياة يصح تطبيق عبارة برنادشو" اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية" لأن الشعر وليد أحداث الحياة، وليست للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها، ولا نماذج معينة للألوان التي تتلون بها أشياؤها وأحاسيسها .ولم يتجه الشعراء إلى الطريقة الحديثة هربا من العمود الشعري القديم وعجزا منهم عن التعبير به عن تجاربهم وإنما لأن الشعر الحديث ينسجم مع ذوق العصر وروحه.